تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون } أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من ا خائفون منه وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصري : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة وإن الكافر جمع إساءة وأمنا { والذين هم بآيات ربهم يؤمنون } أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام : { وصدقت بكلمات ربها وكتبه } أي أيقنت أن ما كان إنما هو عن قدر ا وقضائه وما شرعه ا فهو إن كان أمرا فمما يحبه ويرضاه وإن كان نهيا فهو مما يكرهه ويأباه وإن كان خيرا فهو حق كما قال ا : { والذين هم بربهم لا يشركون } أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا ا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه لا نظير له ولا كفء له .

وقوله : { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون } أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء وهذا من باب الإشفاق والاحتياط كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت : [يا رسول ا الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف ا D ؟ قال : لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف ا D] وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه وقال [لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم { أولئك يسارعون في الخيرات }] وقال الترمذي : وروي هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم نحو هذا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الاية .

وقد قرأ آخرون هذه الاية { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } أي يفعلون ما يفعلون وهم خائفون وروي هذا مرفوعا إلى النبي صلى ا عليه وسلّم أنه قرأها كذلك قال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا صخر بن جويرية حدثنا إسماعيل المكي حدثنا أبو خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة Bها فقالت : [مرحبا بأبي عاصم ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا ؟ فقال : أخشى أن أملك فقالت : ما كنت لتفعل ؟ قال : جئت لأسألك عن آية من كتاب ا D : كيف كان رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقرؤها ؟ قال : أية آية ؟ قال : { والذين يؤتون ما آتوا } { والذين يؤتون ما آتوا } فقالت : أيتهما أحب إليك ؟ فقلت : والذي نفسي بيده لإحداهما أحب إلي من الدنيا جميعا أو الدنيا وما فيها قالت وما هي ؟

فقلت : { والذين يؤتون ما آتوا } فقالت : أشهد أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزلت] ولكن الهجاء حرف فيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف والمعنى على القراءة الأولى وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر لأنه قال : { أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين وا أعلم